اغلاط العرب

(تابع لما في الجزء السابق)

وقال افنون بن صُرَيم التغلبيّ انشدهُ في الاغاني

وجللـهُ عمرٌو على الرأس ضربةً　　بذي شُطَبٍ صافي الحديدة رونقِ

استعمل الرونق وصفاً للسيف وهو اسمٌ لا يوصف بهِ . قال في تاج العروس ورونق السيف مآؤهُ وحسنهُ قال الاعشى

ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه　　كما زان متن الهندوانيّ رونقُ

وكذلك رونق الشباب ورونق الضحى وقال الآخر

الم تسمعي أي عبدَ في رونق الضحى　　بكآء حمامات لهنَّ هديرُ

ولم يُسمع سيفٌ رونق ولا شبابٌ رونق . وقال عمر بن ابي ربيعة

ولقد اشفقتُ من حبّـيكمُ اقضي نحبي

اراد اقضي نحبي اي أَجَلي فعبَّر بالنحيب وهو رفع الصوت بالبكاء ولم يُسمَع وضع النحيب موضع النحب الا في هذا البيت . على ان اهل اللغة اختلفوا في اشتقاق النحب وأصل معناهُ على اوجهٍ كلها غير ظاهر وكأَن ابن ابي ربيعة توهمهُ من النحب بمعنى البكآء واضطرّتهُ القافية فنقلهُ الى النحيب وان لم يسمعهُ بهذا المعنى . ومن هنا يظهر لك نوع تصرّفهم في اللغة وسبب كثرة ما يرى فيها من الاشتقاقات وتوارد الصيغ المختلفة على المعنى الواحد .

وقال عمر بن ابي ربيعة ايضاً

اذا خدرت رجلي ابوح بذكرها　　ليذهب عن رجلي الخدور فيذهبُ

فجعل مصدر خَدِر الخدور وهو ما لم يرد بهِ سماعٌ ولا يساعد عليهِ القياس لان قياس فَعِل اللازم ان يجيء مصدرهُ على فَعَل بفتحتين كالحَذَر والعَطَش والسغَب وغير ذلك على ما هو مشهور . وقال دِعبِل

تنافس فيهِ الحزم والبأس والتقى   وبذل اللُهَى حتى اصطبحنَ ضرائرا

اراد حتى اصبحنَ ضرائر ولم يُنقَل استعمال اصطبح بهذا المعنى وانما يقال اصطبح اذا شرب الصَبُوح وهو شراب الغداة واصطبح بالشمع ونحوهِ اي استسرج بهِ لم يحكوا فيهِ غير ذلك . وقال الاحوص

وما العيش الا ما تلذّ وتشتهي   وان لام فيهِ ذو الشنان وفنّدا

اراد بالشنان الشنآن مصدر شنئهُ اذا ابغضهُ فاضطرّهُ الوزن فحذف الهمزة التي هي لام الكلمة فصار وزنهُ فعان . وزعم صاحب الصحاح ان الشنان لغةٌ في الشنآن المهموز ذكر ذلك في المضاعف وقال في المهموز قال ابو عُبيد الشنان بغير همز مثل الشنآن وانشد بيت الاحوص المذكور وكذلك فعل غيرهُ من اللغويين فعدّوهُ تارةً من مصادر شنئ المهموز وتارةً لغةً فيهِ وكلا الوجهين بعيد . اما الاول فلاختلاف اللفظ بين المصدر والفعل حتى صار كلٌّ منهما من مادّة لان لفظ المصدر مضاعف ولفظ الفعل مهموز واما الثاني فلأنهُ لو كان لغةً فيهِ لزم ان يكون لهُ فعلٌ من لفظهِ وهذه كتب اللغة التي بين ايدينا لا تجد في شيء منها شنَّهُ بمعنى ابغضهُ فلم يبقَ الآ انهُ خروجٌ ساقت اليهِ الضرورة ولذلك تجد كل من ذكر هذا اللفظ يستشهد لهُ بهذا البيت . على انهُ جآء في مصادر شنئ الشنْآن بسكون النون وزان سكران وهو من المصادر الشاذّة ايضاً ولا شك ان موردهُ

الضرورة ايضاً الا انهُ مما درجت عليهِ ألسنتهم وقبلوهُ على شذوذهِ فقد كان لهذا الشاعر مندوحةٌ اليهِ بان يقول « وان لام ذو الشنآن فيهِ » ولكن الظاهر انهُ رأى مصادر هذا الفعل لا تزال ناقصةً لانهُ لا يكفي ان يكون لهُ ثلاثة عشر مصدراً فزادها واحداً وقس على ذلك كثيراً من الصيغ التي يقف عندها اللغويّ حائراً لا يتبين موردها ولا يدري الحكمة من وضعها . ومثلهُ قول الآخر انشدهُ ابو حنيفة

ولقد اروح بلمَّةٍ فينانةٍ سوداءَ لم تُخضَب من الحِنّانِ

وقد اختلفوا في الحنّان فضبطهُ في لسان العرب بالكسر والتشديد وقال هو جمع حِنّآء عن ابي حنيفة وقال ثعلب هو لغةٌ في حنّآء وقال السهَيلي هو حُنّان بالضم والتشديد جمعٌ على غير قياس ثم قال وهو عندي لغةٌ في الحنّآء لا جمعٌ نقلهُ في تاج العروس . وقيل هو حُنْآن بالهمز وبضم اولهِ جمع حنّآء وهو قول ابي الطيّب اللغويّ . على ان كل من تكلم على هذه اللفظة استشهد بالبيت المذكور على نحو ما ذكرناهُ في الشنان وهو مما يدلك على انها لم تُسمَع الا فيه وحينئذٍ فالاقرب ان الشاعر اراد الحِنّآء فاضطرّتهُ القافية فابدل من همزتهِ نوناً وعلى هذا فحقيقة لفظهِ حِنّان بالكسر والتشديد وهو الوجه البديهي الذي لا تكلف فيهِ وليس جمعاً لحنّآء لان وزنهُ حينئذٍ يجيء على فعّاع بتشديد العين الاولى وابدال اللام عيناً اخرى ولا لغةً فيهِ لان هذا الحرف مهموز يقال حنّأ لحيتهُ تحنئةً ولم يُسمَع حنَّنها . وقال الاصمعي كنا نظنّ الطِرِمّاح شيئاً حتى قال

واكره ان يعيب عليَّ قومي هجآئي الارذلين ذوي الحِنات

الحِنات جمع حِنَة بالكسر مثال عِدَة يريد الإِحنة بمعنى الحقد فحذف الهمزة ونقل حركتها الى الحآء وهذا لم يُسمَع في شيءٍ من المهموز . وانشد ابن السكيت

الى ماجدٍ لا ينبح الكلب ضيفهُ ولا يتآداهُ احتمال المغارمِ

قال لا يتآداهُ لا يثقلهُ اراد لا يتأوّدهُ فقلب . وهو كقول الآخر

نزور امرأً اما الالهَ فيتقي واما بفعل الصالحين فيأتمي

اراد يأتمّ فابدل من الميم الاخرى يآءً . وقال الآخر

تقول ابنتي لما رأت وشك رحلتي كانك فينا يا أَباتَ غريبُ

يريد يا أَبَتا فقدَّم الألف للوزن . وقال الحارث بن حلّزة

اذ تَمَنَّونهم غروراً فساقتـهم اليكم امنيّةٌ أَشراءُ

أَشرآء فعلآء من الأَشَر بمعنى البطر ومقتضاها انها مؤنث الآشَر على افعل مثل حمرآء واحمر وهو ما لم ينطقوا بهِ ولا يؤخذ من طريق القياس ولكن الاظهر انهُ اراد ان يقول امنيّةٌ أَشرة مؤنث أَشِر فاضطرّتهُ القافية فقال اشرآء . وقال في هذه القصيدة ايضاً

وأتيناهمُ بتسعة املا كٍ كرامٍ اسلابها أَغلاءُ

فسر الزوزنيّ الأغلآء بالغالية من غلآء الثمن ولم يتعرض لها التبريزي وحينئذٍ فهي تحتمل ان تكون جمع غالٍ كصاحب واصحاب او غليّ على فعيل كشريف وأشراف الا ان كلا هذين من الجموع التي لا تقاس . ومن هذا القبيل قول عنترة

برحيبة الفرغين يهدي جرسها بالليل معتسّ الذئاب الضُرَّمِ

قال التبريزي الضرَّم الجياع يقال لقيتُ فلاناً ضَرِماً ولا يقال هو ضارم وضُرَّم جمع ضارم ولم يُتكلم بضُرَّم . اه . وقال الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كانهُ ليلٌ يصيح بجانبيهِ نهارا

اراد بقولهِ يصيح صيغة المتعدي من قولهم انصاح القمر اي استنار فنقل المعنى الى النهار كما قال البديع فلما انصاح النهار بجانب ليلي ثم استعمل منهُ متعدياً بتجريدهِ من الزيادة وهو غير منقول بهذا المعنى . وقال يزيد ابن المفرغ

معاذ الله ربًّا ان ترانا طوال الدهر نشتمل البِرادا

قال ابن سيده يحتمل ان يكون جمع بُردة كبُرمة و بِرام وان يكون جمع بُرد كقُرط وقِراط . اه . وكلاهما غير مسموع ولكن المستعمل في جمع بُردة بُرَد وفي جمع بُرد أبراد وبرود وهو القياس فيهما . وقال النابغة

فتلك تُبلغني النعمان ان لهُ فضلاً على الناس في الادنى وفي البعدِ

قيل البعد بضمتين مفرد بمعنى البعيد وقيل هو بفتحتين جمع باعد مثل خَدَم وخادم وهذا من الجموع النادرة ولم يسمع من هذا الحرف الا في بيت النابغة . على ان سياق الكلام يقتضي ان يكون مفرداً على حد قولهِ الادنى قبلهُ الا انهُ لا وجه لهُ ولم يرد من الصفات على هذا الوزن الا الفاظٌ نادرة مثل جُنُب . وقال جرو بن ضرار اخو الشماخ

تصاممتهُ لما اتاني نعيُّهُ وافزع منهُ مخطئٌ ومصيبُ

يريد تصاممت عنهُ فحذف الحرف وعدّى الفعل بنفسهِ . ومثلهُ قول اوس ابن حبناء

فان انت لم تقدر على ان تهينهُ فذرهُ الى اليوم الذي انت قادرُه
يريد اليوم الذي انت قادرٌ عليهِ فيهِ فاضاف الى احد الضميرين وترك الحرفين وسواءٌ كان الضمير الذي اضاف اليهِ مجرور على او مجرور في فان الاضافة اليهِ ممتنعة . واشذُّ من هذا وذاك قول عنترة

ولقد ابيت على الطوى وأَظَلُّهُ حتى انال بهِ كريم المأكلِ

اراد واظلّ عليهِ كما في لسان العرب فحذف المستترّ الحامل لضمير الخبر لان ظلّ من الافعال الناقصة فحلّ محل الخبر ضمير الطوى اي الجوع وهو لا يصلح للاخبار بهِ عن الرجل (ستأتي البقية)

كوكب سنة ١٩٠١

هو كوكبٌ ظهر في هذه السنة واضمحلّ فيها بل كان معظم رؤيتهِ اربعة ايام لا غير كان فيها محلاً لأغرب التقلبات في مقدار نورهِ ولونهِ وطيفهِ بحيث كان شغلاً شاغلاً لعلمآء الهيئة في كل قطر من اقطار الارض. وهو نجمٌ من نجوم المجرّة لم ترهُ عينٌ من قبل ولم يُرَ بآلةٍ ولا ألقى ادنى شعاع على الصفائح الفوتغرافية المأخوذة عن ذلك الموضع من قبل ولكنهُ ظهر فجآءةً في ليلة ١٩ فبراير الاخير في الصورة المعروفة بصورة برشاوش. وكان اول ظهورهِ من القدر الثاني ثم اشرق فجآءةً حتى كان في ليلتي ٢٢ و ٢٣ من القدر الاول او فوقهُ بحيث كان انور من العيوق ورجل الجبار ثم تناقص نورهُ بعد ذلك تناقصاً سريعاً حتى انهُ في اواخر شهر مارس هبط الى القدر الخامس فاصبح لا يكاد يرى بالعين المجرّدة

ولا يخفى ان ظهور مثل هذا الكوكب من الحوادث الخارقة النادرة الوقوع لانهُ الى الآن لا تتعدى النجوم التي ظهرت من هذا النوع اثني عشر او ثلاثة عشر نجماً واول ما ذُكر منها في التاريخ النجم الذي ظهر في صورة العقرب سنة ١٣٤ قبل التاريخ الميلادي رآهُ هبرّخوس وقيدهُ في زيجهِ وكان فيما قيل هو السبب في وضع الزيج المذكور . ثم ظهرت بعد ذلك انجمٌ أُخر اشهرها واعظمها اثنان احدهما ظهر سنة ١٥٧٢ واول من رصدهُ تيخو براهي والثاني ظهر سنة ١٦٠٤ واول من تنبه لهُ كبلر صاحب القواعد المشهورة وقيل جان برونوسكي خرّيج كبلر . وكان ظهور الاول في صورة ذات الكرسي بالقرب من الكف الخضيب وبقي مرئيًّا بالعين المجرّدة مدة سنة واربعة اشهر لم يزايل مركزهُ وكان اول ظهورهِ ذا نورٍ باهر اللمعان حتى كان اشدّ ضيآءً من الشعرى اليمانية ومن المشتري في اوان استقبالهِ ولم يكن يمثل الا بالزهرة في ابّان تألقها الا ان نورهُ كان يضعف شيئاً فشيئاً حتى توارى جملةً . واما الثاني فكان ظهورهُ في صورة القوس ولبث مرئيًّا مدة سنتين وكان نورهُ اعظم من المشتري الا انهُ كان دون نور الاول

وقد امعن علمآء الهيئة في التنقيب عن علة ظهور هذه الكواكب وانطفآئها الا انهُ لم يتسنَّ لهم البحث فيها على طريقٍ يوصل الى شيءٍ من الحقيقة الا بعد اكتشاف الحلّ الطيفي وقد فحصوا خمسةً منها بالحلّ المذكور اولها النجم الذي ظهر سنة ١٨٦٦ وهو نجمٌ معروف من كواكب الاكليل الشمالي وكان قبل ذلك من ذوات القدر العاشر فازداد نورهُ في تلك السنة زيادةً فجآئية انتقل بها الى القدر الثاني ولبث على ذلك ستة اسابيع كان

يتناقص نورهُ في اثنائها حتى عاد الى ما كان عليهِ . وقد ظهر لهم من تحليل طيفهِ ان هذه الزيادة في نورهِ كانت مسببةً عن اشتعالٍ عظيم في الهدروجين يشبه ما يحدث على سطح الشمس ثم انهم بتكرار هذا الحلّ على النجوم التي ظهرت بعد ذلك تبين لهم ان اكثرها بعد ان ينتهي الى طور الخمود يكون طيفهُ اشبه بطيف السُّدُم ووجدوا منها ما يكون طيفهُ في اوان الاشتعال مركباً من طيفين مما يدل على ان هناك كوكبين مختلفي جهة الحركة يجري احدهما بقرب الآخر بحيث يقع بينهما من التجاذب ما ينشأ عنهُ في كلا الكوكبين مدٌّ عنيف يؤدّي الى انفجار المواد الغازية التي في باطنهما فيحدث عنها هذا الضوء الفجآئي

وقد وقفنا آخراً على مقالة في هذا الصدد للمسيو جنسن الفلكي الشهير خطب بها في ندوة العلوم الفرنسوية فرأينا ان نحصلها لما فيها من الفائدة والغرابة قال

قد تنبهت خواطر علمآء الهيئة في هذه الايام للبحث في امر الكوكب الجديد الذي ظهر في صورة برشاوش والنظر في علة تقلبهِ السريع بين النور والظلام وهو ولا شك من الشؤون التي تُقضى من دون الوصول الى تحقيقها السنون الطوال في التنقيب الدقيق والدرس العنيف ولذلك فاني لا اطمع هنا في الكشف عن سرهِ انما هي خواطر عرضت لي فاحببت بسطها لعلهُ يستعان بها في الزمن المستقبل على استيضاح هذا السرّ الغامض الذي انما يوكل الكشف عنهُ للمباحث العلمية

وأنا ابني كلامي في هذا المعنى على ما بدا لي سابقاً من البحث في

حالة جوّ الشمس وتركيبهِ وما ظهر لي من انهُ خالٍ من عنصر الاكسيجين على ما سبق لي اثباتهُ في غير هذا الموقف وقد ابنتُ هناك ان هذا الحال في الشمس اي خلو جوّها من الاكسيجين هو من الامور الضرورية التي تتوقف عليها حياة العوالم الشمسية بأسرها لما هو معلوم من ان الهدروجين في جوّ الشمس كثير فلو وُجد الاكسيجين فيهِ لاتحد هذان العنصران واستحالا الى بخار مآئيّ وحينئذٍ فبدلاً من ان ترسل الينا الشمس اشعتها الساطعة تكون مغشاةً بطبقةٍ من الغيوم الكثيفة تحجب عنا ضوءَها وحرارتها

على ان هذا مما يُستبعَد في بادي الرأي لما أن الشمس هي مصدر السيارات كلها وهذا العنصر منتشرٌ في جميعها فليس من المحتمل ان تخلو الشمس منهُ مع اشتمالها على جميع العناصر الموجودة في الارض وعلى عناصر اخرى لا نعرفها مما نستدلّ عليهِ بالطيف الشمسي . وحينئذٍ فلا بد لنا ان نقول ان الاكسيجين عنصرٌ مركَّب لا بسيط وان الحرارة المتناهية تحلّهُ وتبطل خصائصهُ ولا سيما ما فيهِ من الميل الى الاتحاد بالهدروجين . على ان هناك دلائل اخر يُستَدلّ منها على ان الاكسيجين ليس بعنصرٍ بسيط خلافاً لما يقطع بهِ الكيماويون منها فضلاً عن سهولة تحولهِ الى اوزون ان طيفهُ كثير التداخل مما يدل فيهِ على التركيب . فاذا امكن التسليم بهذا الفرض اتخذنا منهُ سبيلاً الى البحث في سبب ظهور هذه النجوم واضمحلالها وذلك ان الكواكب ليست الا شموساً منبثةً في الفضآء فبعد ان يأتي عليها ملايين من السنين وهي في حرارة الشباب لا بد ان يدركها الهرم وتبرد وحينئذٍ فلنا ان نفرض ان الكوكب الذي ظهر هذه السنة قد انتهى الى

هذا الطور من وجوده فهبطت درجة حرارته حتى ان العناصر التي يتألف منها الاكسيجين امكن اجتماعها وحينئذ امكنت الألفة بينهُ وبين الهدروجين الذي هو من العناصر العامَّة لجميع الكواكب فحدث هناك حريقٌ هائل بحيث انهُ كلما تجمع الاكسيجين احرق الهدروجين فصدر عنهُ لهبٌ شديدٌ سريع الانتشار الى ان اشتعل الكوكب برمته ثم طفئَ كما تطفأ فتيلة المصباح . اه

على ان هناك رأياً آخر يخالف هذا الرأي وهو ما ذهب اليه المسيو لوكياي وهو من العلماء الذين لا ينحطّون عن طبقة المسيو جنسن فانهُ يستدلّ على ان هناك خلق كوكبٍ جديد لا موت كوكبٍ قديم . وذلك انهُ يفرض حدوث هذا الاشتعال عن تصادم عاصفين هائلين من العواصف النيزكية المنطلقة في الفضاء انقضَّ احدهما على الآخر فتداخلت بعض اجزائهما في بعض والتهبت بقوَّة تلك الصدمة ثم انتشرت بخاراً مشتعلاً على ما هو احد الاقوال في اصل تكوُّن السُدُم التي تتكوَّن منها عوالم الشموس . وكلا القولين غير بعيد عن مقام التحقيق وان كان ثانيهما هو الاقرب فيما نرى ولكن القطع بأحدهما موكولٌ الى العصور الآتية

لقاح السلّ الرئوي

لا حاجة الى وصف ما بلغ اليه هذا الداء الوبيل من الاستفحال والانتشار في جميع اقطار الارض حتى قامت لهُ الممالك وقعدت وبُذلت في سبيل دفعه الاموال الطائلة واستفرغ الاطباء فيه من الجهد والاحتيال ما لم

يبذلوهُ في شيءٍ من الامراض فذهبت كل امتحاناتهم على غير طائل · وقد كان اشهر تلك الامتحانات واقربها من مظنّة الفلاح ما توصل اليهِ الدكتور كوخ من طريقة التلقيح حتى وقع في اعتقاد الكثيرين انهُ كان العلاج الشافي· ولكن ظهر بعد حين انهُ كان تارةً شرًّا من الدآء نفسهِ لانهُ كان يعجّل القضآء على اصحاب هذا الدآء ولا سيما في الدرجات الاخيرة منهُ حتى كان عنوان اليأس من الفوز في هذا الصراع وكادت تنحلّ ايدي الاطبآء عن تكرار الامتحانات والتجارب وتركوا البحث عن علاج هذا المرض الى النظر في وجوه توقيهِ وان كان ابعد منالاً من العلاج · وكيف يُتحامى عدوٌّ لا تدركهُ حاسةٌ ولا يُعلَم طريقهُ بل لا يخلو منهُ طريق ولا يؤمن وجودهُ في مكان فهو في الارض التي توطأ والهوآء الذي يُنشَق وهو في الطعام والشراب واللباس والفراش وفي كل ما تلمسهُ اليد ويباشرهُ الجسم وهو محالٌّ للانسان في مسكنهِ ومرافقٌ لهُ في سفرهِ بل مخالطٌ لهُ في دمائهِ وانفاسهِ

بيد انا قد وقفنا في هذه الايام على فصلٍ في احدى المجلات العلمية جآء فيهِ ما ان صحّ كان اعظم بُشرَى للانسانية بالوصول الى العلاج الكافل بالنجاة من هذا العدوّ المجتاح ألا وهو طريقة كوخ نفسها ولكن بعد ان تُمّمت ووُفّرت لها الشروط الكافلة بحصول نفعها من غير ان يخشى منها اذًى مما تبين منهُ ان كوخ لم يخطئ الا بان بادر الى نشر رأيهِ قبل ان يثق بصحتهِ ويفيهُ حقهُ من التجربة · وبيان ذلك ان كوخ كان في اثنآء امتحاناتهِ قد تبين لهُ ان كثيراً من الجراثيم المرضية تفرز خلا سمّها المرضيّ المعهود سمًّا آخر مؤذياً لها وبعبارةٍ اخرى تفرز سمّين متضادّين احدهما

ترياقٌ للآخر . وذلك انهُ اتخذ كميةً من هذه الجراثيم وربّاها في المرق بأن بثّها فيهِ وتركها مدةً فنمت في اول الامر وتكاثرت ثم توقفت عن النموّ ولما لم يجد سبباً لهذا التوقف حكم بأنهُ لا بد ان يكون ناشئاً عن مفرزاتٍ منها امترجت بالمرق فلم يعد صالحاً لغذآئها فكان من همهِ بعد هذا الاكتشاف البحث عن ذريعةٍ يقدر بها ان يفصل الترياق عن السمّ المرضي ليحقن بهِ الجسم المصاب . فعمد الى المرق بعد تربية الجراثيم فيهِ وتمام افرازها واغلاهُ حتى ماتت تلك الجراثيم ثم رشحهُ ومزج ما رشح منهُ بالغليسرين وحقن بهِ فافاد في بعض الحوادث الخفيفة الا انهُ ظهر بعد تعدد التجارب ان السمّ لم ينفصل بهذه الطريقة عن الترياق لانهُ اضرّ ببعض المرضى كما تقدم وعجَّل سير الدآء . ومذ ذاك اخذ كثيرٌ من الاطبآء يزاولون الذرائع لفصل السمّ المذكور وفي جملتهم الدكتور كوخ وكان ممن عانى ذلك طبيبٌ من الفرنسيس يقال لهُ الدكتور لنويز فوُفّق فيما نقلتهُ المجلة المشار اليها الى ادراك هذه الغاية . ومحصَّل ما ذكرت عنهُ انهُ بعد ما استفرخ انبوبيات هذا الدآء في المرق على نحو ما فعلهُ الدكتور كوُخ رشَّح المرق مرتين بالضغط حتى اخرج منهُ جميع الانبوبيات ثم جعلهُ في حمامٍ مخصوص على ١٢٠ درجة من الحرارة وتركهُ فيهِ مدة شهرين الى ثلاثة اشهر ذهاباً منهُ الى ان ذلك يضعف فعل السمّ او يبيدهُ ولا يبقى في السائل الا الترياق وحينئذٍ فعوض ان يكون التلقيح بهِ داعياً لرفع درجة الحمى كما كان يحدث عن لقاح كوخ يكون سبباً لخفض الحرارة وتخفيف الحمى

وكان اول ما بدأ امتحانهُ في الحيوان المعروف بالخنزير الهندي فلقح

منهُ عدة افرادٍ سليمة فلم يطرأ عليها ادنى اذى . ثم امتحن في غيرها بان لقحها بعد هذا السائل بجراثيم المرض نفسها فلم يظهر فيها شيءٌ من اعراضهِ فامهلها مدة شهرين او ثلاثة ثم شرّحها فلم يظهر لهُ في احشآئها شيءٌ من آثار المرض . ثم اجرى امتحاناً ثالثاً بان لقح طائفةً من هذه الخنازير بجراثيم السلّ اولاً فظهرت فيها اعراضهُ ثم حقنها بسائلهِ فتوقف المرض وبعد قليل شفيت باسرها

ولما ثبتت لهُ منفعة هذا السائل وخلوّهُ عن كل شبهة ضرر شرع في علاج المسلولين من الناس فلقح مئةً من المرضى في درجاتٍ مختلفة فنجح نجاحاً بيّناً وابتدأ ظهور النفع فيهم من اول تعاطي العلاج فرجعت شهوة الطعام وازداد وزن الجسم وبطل الارق وانقطع العرق الليلي وانحطّت درجة الحمى وقلّ النفث ومع ذلك كلهِ فانهُ لم يحدث بسبب الحقن خراجٌ ولا اضطرابٌ في شيءٍ من وظائف الجسم . اه

وقد شرح امتحانهُ هذا في مؤتمر الامراض الصدرية الذي عُقد في نابولي في شهر ابريل سنة ١٩٠٠ فعسى ان يوفَّق لهذا العلاج من يعيد امتحانهُ من ثقات الاطباء واكابرهم حتى اذا اجمعوا على صحتهِ ايقنّا بأنّا قد حصلنا على الدواء الشافي من هذا الداء العضال والله محقق الآمال

خوارق المطر

افاضت الجرائد منذ مدة في امر المطر الاحمر الذي سقط في بعض انحاء ايطاليا وشمالي المانيا مما وقع عند كثيرٍ من الناس موقع الاستغراب

وعدّوهُ من الخوارق وربما ارتاعت لهُ نفوس بعض العوام وحسبوا ان فيهِ سرًّا سماويًّا . على ان امثال هذا الحادث قد تكرَّر وقوعها في العصور السالفة فكانت السمآء احيانًا تمطر دمًا او كبريتًا او غبارًا او ضروبًا من الحيوان كالاسماك وبعض الهوام البرية . وقد نُقل عن بعض مصنفات بلينوس وبلوطرخس ان السمآء امطرت لبنًا ودمًا وحديدًا وذكر في غيرها سقوط امطارٍ من الدمآء اشهرها ما حدث سنة ٤٥١ وسنة ٥١٧ في ايطاليا وسنة ١٦٢٠ في پولونيا وسنة ١٦٢٣ في سويسرا وسنة ١٨٤٦ في ليون وسنة ١٨٦٣ في بربنيان وكان يخالط بعضها ثلجٌ احمر كما حدث في هذه السنة

وكان المطر الذي سقط في ليون سنة ١٨٤٦ على اثر اعصارٍ عنيف هبّ من نواحي اميركا فاخترق سطح الاتلنتيك وانتهى الى بحر الصين وكان في منتهى السرعة والشدة حتى شعر بحركتهِ في اوربا وعلى عقبهِ ثارت الزوابع في جنوبي فرنسا تحمل غيومًا كثيفة كان يسقط منها على طول ممرّها حماةٌ حمرآء سماها اهل ليون بمطر الدمآء . وقد أُخذ شيءٌ من هذه الحماة وحُلّل فوُجد فيهِ ٧٣ مادّة عضوية منها ما لا يوجد الا في اميركا الشمالية مما دلّ على ان هذه الموادّ محمولةٌ من هناك . وقد استُقري مجرى ذلك الاعصار فوجد انهُ تحرك من اميركا في ١٣ اكتوبر من تلك السنة وبلغ فرنسا في ١٧ منهُ فكانت مدة قطعهِ هذه المسافة اربعة ايام

ثم انهُ في سنة ١٨٥٦ هبّ في بعض انحآء الصين اعصارٌ جولاني اعتكر بهِ بياض النهار ثم انحلّ وركد فاذا هو مشحونٌ زغبًا من ريش الطير وانواعًا من بزور الشجر . وكثيرًا ما يتفق في الهند والصين ان يسقط

في المطر غبارٌ اصفر قد يغطي من الارض ما تبلغ مسافتهُ ٤٠ الى ٥٠ كيلومتراً وفي اثنآء سقوط هذا المطر تظهر الشمس كانها تُرَى من ورآء زجاجةٍ ملطوخةٍ بالسناج

وفي سنة ١٨١٩ سقط في منتريال مطرٌ من مآءٍ اسود يشبه الحبر وسقط مثل ذلك سنة ١٨٤٠ في ارلندا وسنة ١٨٨١ في واسيل . وروى اراغو في كتابهِ في الهيئة انهُ في سنة ٤٧٢ سقط في القسطنطينية مطرٌ من غبارٍ اسود كان يخترق السمآء الملتهبة فكان كانهُ مطرٌ من نار وذكر انهُ حدث مثل ذلك سنة ١٥٨٦ في هنوڤر . ومن تتبع كتب التاريخ وجد من امثال هذه الحوادث شيئاً كثيراً مما يطول استقرآؤهُ وقد كشف الفحص والتحليل عن ان كل ذلك من اتربة الارض ومعادنها مما تحملهُ الرياح عند شدة هبوبها فتلقيهِ تارةً بنفسهِ وتارةً مع مياه المطر . وقد تبين ان المطر الاحمر يتلون بالرمال وانواع الاتربة التي تثيرها الريح في السحاب ولذلك تكثر الامطار من هذا النوع في نواحي ايطاليا وما يجاورها لما تحملهُ الرياح من رمال الصحرآء . وكذلك الامطار التي تشبه اللبن فانها تتلون بنوعٍ من الاتربة البيضآء المنحلَّة في مياه الانهار اذا اغترفتها الزوابع في ممرّها فالقتها مطراً . واما امطار الكبريت فدل التحليل على انها مركبة من طلع بعض الاشجار كالصنوبر ونحوهِ على انهُ قد ثبت وجود الكبريت حقيقةً في بعض الامطار التي سقطت في ناپولي وذلك لقرب هذه المدينة من ڤيزوف وفي ظن بعضهم ان دمار مدينة پمپاي المشهورة انما كان بمطرٍ من رماد هذا الجبل . وذُكر انهُ سقط في نروج سنة ١٦٦٥ غبارٌ يشبه الكبريت

وكان اذا أُلقي في النار تنبعث عنهُ رائحة الكبريت نفسها وهو واردٌ ولا شك مما يجاور تلك البلاد من براكين ازلندا

وقس على ذلك ما يقع احياناً من مطر الحيوانات كالسمك والضفادع والنمل وغير ذلك مما ترفعهُ العواصف من المستنقعات او تحملهُ في اثناء مرورها على وجه الصحراء وكل ذلك من الامور الطبيعية التي لا شيء فيها من الخوارق وهو ايسر ما تفعلهُ الرياح على وجه الارض

التلَفون الارضي

من غرائب الاستنباط التي افتُتح بها تاريخ الاختراع في هذا القرن التلفون الارضي وهو تلفون بدون سلك استنبط طريقتهُ المسيو ميَش احد علماء الفرنسيس . وقد تمّ امتحانهُ في اثناء الشهر الغابر في مدينة سان جرمان من ضواحي باريز بين منزل المخترع وغابةٍ معروفة هناك وبين المكانين مسافةٌ تقرب من الف متر فبلغ الكلام من احد المتخاطبين الى الاخر وليس بينهما ما يحمل الصوت وينقلهُ سوى الارض التي يطآنها . وذلك ان هذه الآلة مؤلفة من جهازين احدهما مُرسِل وكان في منزل المخترع ويتصل بالارض بحبلٍ معدني يشبه سلسلة الشاري (عمود الصاعقة) والآخر قابلٌ تلفوني من القوابل المألوفة يتصل بالارض بوتدٍ من حديد قد رُزّ فيها ورُزّ على مسافة ٢٥ او ٣٠ متراً منهُ وتدٌ آخر مثلهُ جُمع بينهما بسلكٍ موصل ثم شُرع في الكلام من منزل المخترع فبلغ الى الجهاز القابل بتمام الوضوح على حدّ ما يكون في التلفون المعروف

ومن غريب ما ذُكر من امر هذا التلفون ان الصوت فيهِ لا ينتشر على هيئـة امواجٍ مستديرة كما يكون من امواج الكهربآئية في التلغراف الذي بدون سلك ولكنهُ يمرّ في خطٍّ مستقيم تابعاً لاتجاهٍ معلوم بحيث ان من يروم ان يتناول الصوت ينبغي ان يكون على نفس الخط الذي يجري فيهِ فاذا انحرف عنهُ يميناً او شمالاً لم يسمع شيئاً . والصوت يوجَّه تبعاً لارادة المتكلم فهو يسدّدهُ الى ناحية المخاطَب كما يسدَّد السهم الى الغرض وبهذا يبقى الكلام محصوراً بين المتخاطبين فيكون بمأمنٍ من استراق الاسماع

مُتَفَرّقَاتٌ

نحل الزاجل — اعتاد الناس من عهدٍ بعيد ان يستخدموا الحمام في حمل الرسائل وتبليغها ولا سيما في اوقات الحرب حين تنقطع السبل ويتعذر ارسال البُرُد . وقد وقفنا في هذه الايام في احدى المجلات العلمية على نبإٍ غريب وهو أن احد الذين يعانون تربية النحل خطر لهُ ان يمتحن تقليد النحل هذه المهمّة فنقل بعضاً منها من خليتّها الى مكانٍ بعيد ثم ناط باجنحتها رسائل مِجهرية اي مصغَّرة بالفوتغرافية حتى لا تُقرأ الا بالمِجهر (المكرسكوب) واطلقها فلم تخطئ الرجوع الى مألفها وعند وصولها نُزعت الرسائل عنها وقُرئت وعلى ما في هذا النبأ من الاهميـة فان المجلة التي روتهُ لم تتوصل الى معرفة الطريقة التي امكن بها ان يُمسَك النحل بحيث يؤمن لسعهُ مع ما

هو معروفٌ بهِ من الشراسة والحدّة ولا باي طريقة امكن انتزاع الرسائل عن اجنحتهِ ما لم يُقتَل . ومهما يكن من ذلك فانهُ ان صحّ هذا الامر وامكن استخدام النحل لهذا الغرض فهو افضل من الحمام كثيراً لانهُ بالقياس الى دقة اجسامهِ يمكن ان يسافر بدون ان يُتنبه لهُ فضلاً عن صعوبة امساكهِ او رميهِ بخلاف الحمام فانهُ اشدّ تعرضاً للخطر كما لا يخفى

السمك والطاعون — جآء في احدى المجلات الطبية الانكليزية ان المدّ قذف على ساحل توكيو مقداراً عظيماً من السمك الميت وان الجرذان التي اكلت منهُ ماتت على الاثر باعراضٍ طاعونية وقد اظهر الفحص البكتريولوجي وجود جراثيم الطاعون في هذا السمك

اسئلة واجوبتها

القدس — ارجو الجواب على الاسئلة الآتية

(١) يقول الصرفيون اصل المشتقات المصدر على الاصح فهل المقصود بذلك المصدر كلهُ ام المجرَّد فقط واذا كان الثاني فهل يكون عندهم المصدر المزيد والمصدر الميمي من المشتقات

(٢) قيل اذا وقع حرف المدّ قبل همزة الوصل سقط معها لفظاً لالتقآء الساكنين بينهُ وبين ما بعد الهمزة فاذا تحرك ما بعد همزة الوصل كما اذا قلنا « هذا الأُسم » مثلاً فهل يبقى حرف المدّ ساقطاً ام يجوز اظهارهُ

(٣) يقع في كلام بعض القوم جئت قبل فلان بيومين وهذا اقلّ من ذاك باربعة فهل هذا التركيب فصيح

(٤) لماذا كان التصغير وجمع التكسير يردّان المقلوب والمحذوف

(٥) جآء في بشارة القديس لوقا (١ : ٨) من الترجمة اليسوعية التي وقفتم عليها « يا ممتلئةً نعمةً » وفي افسس (١ : ٦) نعمهِ التي « انعم بها » علينا مع ان الاصل اليوناني ليس فيهِ هذا الاختلاف فما الوجه في ذلك

عيد سالم

الجواب — اما قولهم في اصل المشتقات فلا شك ان المراد بهِ المصدر المجرَّد لان المزيد لا يكون الا مشتقاً ومثلهُ المصدر الميمي . على ان القول باصالة المصدر مع ترجيحهم لهُ لا يخلو من نظر اذ قد يتفق في اللغة الواحدة ان يكون للفعل مصدران فاكثر وحينئذٍ فاما ان يكون الفعل هو الاصل او يكون الاصل احد المصدرين او المصادر وما سواهُ مشتقٌّ منهُ لان الاصل لا يكون الا واحداً والا لزمنا الحكم بتعدد الوضع مع وحدة الموضوع . وبقي النظر في المصدر المزيد هل هو مشتقٌّ من الفعل او الفعل مشتقٌّ منهُ وهذا ما لم نجد فيهِ كلاماً لاحد ولعل الاقرب الاول

واما مسئلة حرف المدّ قبل همزة الوصل فانهُ لا يجوز اظهارهُ ولو تحرك ما بعد الهمزة لان حركتهُ لا تكون الا عارضة فلا يُعتَدّ بها كما لا يُعتَدّ بحركة التآء في نحو رَمَتا فلا تُرَدّ الالف المحذوفة لذلك

واما نحو قولهم جئت قبل فلان بيومين وما جرى هذا المجرى فالظاهر انهُ من التراكيب الفصيحة لورودهِ في كلام من يوثق بهِ كقول ابن الاثير

وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمئة واربعين سنة. وقولهِ في موضعٍ آخر توفي ابو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين والامثلة من ذلك في كلامهِ كثيرة وكذلك في كلام غيرهِ كصاحب الاغاني وابن خلكان وغيرهما مما لا نطيل بنقلهِ . وكأَنَّ هذه الباء لبيان مقدار التفاوت بين الشيئين تقول سبقتهُ بمرحلةٍ وهذا فوق هذا بذراع ودونهُ باصبع ومن المنقول عن العرب ما كَبَرني فلان الا بسنة وما صغرني الا بسنة حكى ذلك ابن الاعرابي في نوادرهِ

واما مسئلة ردّ المقلوب والمحذوف في التكسير والتصغير فلأَن القلب والحذف لا يكونان في الغالب الا عن سبب فاذا صُغّر الاسم او كُسّر زال السبب في الاكثر فرُدَّ الى اصلهِ . على ان كلاًّ من التكسير والتصغير قد لا يتمّ الا بالردّ كما في آباء وأُبَيّ فان مثالي افعال وفُعَيل لا يتحصلان من الثنائي وكذا ابواب وبُوَيب لان العين لا بدّ من فتحها في المثالين والالف لا تقبل الحركة ولذلك تُقلَب الف نحو خاتم في الحالين وان لم يكن ثمَّ ردّ . وعكس ذلك نحو فُتيّ وفِتْيان لالتزام السكون قبل الياء فلو بقيت الفاً لزم الفتح هناك . وقد يكون التصغير سبباً للقلب كما في أُعَيّر تصغير أَعوَر ودُلَيّة تصغير دلو وكذلك التكسير كعِيدان وعصافير . وهذا القدر كاف في هذا المقام وتمام الكلام على هذه المباحث في مطولات الصرف فعليكم بمراجعتها

واما ما وجدتم من الاختلاف اللفظي في تعريب الآيتين المذكورتين فحسبنا من الجواب عليهِ ان ننبه الى اننا في الاناجيل الاربعة لم نكد نبدّل

شيئاً من الترجمة القديمة التي هي ترجمة المرحوم عبد الله زاخر لشهرتها واستظهارها على الالسنة ولا سيما ما كثر تداولهُ بين العامة كالعبارة المشار اليها مما قضت الحكمة اذ ذاك بتركهِ على حالهِ الا ما كان مخلاًّ بالاعراب وهو نادر او مخالفاً للمعنى وهو اندر . وهذا هو السبب فيما يُرَى من تفاوت اسلوب التعريب بين هذه الاسفار الاربعة وسائر اسفار الكتاب

القاهرة — ذُكر في كتاب كليلة ودمنة ان عبد الله بن المقفع عرّبهُ عن البهلوية فما كانت هذه اللغة نقولا بدران

الجواب — هي من لغات الفرس وبها كان يجري كلام الملوك في مجالسهم على ما ذكرهُ صاحب مفاتيح العلوم وتسميتها بالبهلوية نسبة الى بهله وهو اسم يقع على خمسة بلدان اصفهان والريّ وهمذان وماه ونُهاوند وآذربيجان

آثار ادبيّة

تقويم المؤيد — صدر هذا التقويم المفيد لسنة ١٣١٩ الحالية وهي السنة الثالثة لهُ مدبجاً بقلم حضرة الكاتب اللوذعيّ المتفنن محمد افندي مسعود احد محرري جريدة المؤيد وهو يشتمل على عدة ابواب علمية وادبية وتاريخية وفوائد طبية وزراعية وفصول في آداب المعاشرة والسلوك وتدبير المنزل وغير ذلك مع جداول الاشهر والايام . وهو حسن الطبع والترتيب يقع فيما يقرب من ٣٠٠ صفحة بالحرف الدقيق فنثني على حضرة

المؤلف الفاضل لما اطرف بهِ القرآء من هذه التحفة الاثيرة ونحض الجمهور على مقتناه

اللوتوس — هو عنوان مجلة فرنسوية العبارة تنشرها حضرة الفاضلة السيدة الكسندرا افيرينوه صاحبة مجلة انيس الجليس المشهورة وقد وصلنا الجزء الاول منها فالفيناه حافلاً بالفوائد الادبية واللطائف المستملحة من نثرٍ ونظم موشاةً بقلم صاحبة المجلة الفاضلة واقلام عدةٍ من مشاهير كتاب وكواتب الفرنسيس وغيرهم وهو ولا جرم من الآثار الناطقة بعلوّ همة السيدة المشار اليها وحرصها على التزين بحلى الآداب الى ما بارت بهِ فُضلَيات نسآء الغرب وكان فخراً لنسآء الوطن. فنشكرها على ما وقفت لهُ نفسها من هذه الخدمة الشريفة ونرجو لمجلتها هذه ان تنال ما نالتهُ صنوتها من مزيد الاقبال والانتشار

والمجلة المذكورة تصدر مرةً في الشهر في ٦٠ صفحة كبيرة مع التناهي في حسن الطبع وجودة الورق وقيمة اشتراكها ٢٦ فرنكاً في القطر المصري و ٣٠ فرنكاً في الخارج

تحفة الابناء في دروس الاشيآء -- وردنا الجزء الثاني من هذا الكتاب تأليف حضرة الاديب منقريوس افندي جرجس احد الاساتذة في مدرسة الاميركان بالقاهرة وقد رتبهُ على اسلوب الجزء الاول فأودعهُ كثيراً من الفوائد في علم المواليد الثلاثة وبعض المصنوعات الدقيقة مما تتنوّر بهِ اذهان الطلبة فنثني على حضرة المؤلف اطيب الثناء

فكاهات

رواية

قتيل القدر (١)

في آخر شهر ستمبر من سنة ١٨٥٠ وصلت الى مدينة بوردو سفينة اميركية اسمها « المقدور » قادمة من مدينة نيويرك وعليها ثلاثة عشر مسافراً وهي موسوقة بضائع برسم محل ولنغام وشركائهِ في بوردو . وقد عانت هذه السفينة خلال سفرها اهوالاً جمة وغرق من ركابها ثلاثة وكان في جملة المسافرين فيها فتىً يدعى جونس روبرت ثرتين لهُ من العمر ٢٥ سنة وهو حلو الملامح بهيّ الطلعة ولكنهُ نحيلٌ هزيل وجملة هيئتهِ تدل على ان شبيبتهُ كانت مملوءَة بالهموم والاحزان . وعندما ألقت السفينة مرساتها نزل روبرت الى البرّ وسار الى الفندق الذي حدثت فيهِ بعد ذلك التاريخ ببضعة اشهر اول اصابة من اصابات الهيضة الوبآئية التي فتكت بمعظم سكان بوردو وبعد ايام اكترى حانوتاً واقام يتعاطى صناعة التصوير

وكان ولنغام المتقدم ذكرهُ من اكابر تجار المدينة ومن اصحاب السفن التي تسافر بين بوردو ونيويرك وهو اميركي الاصل يبلغ من العمر نحواً من خمسين سنة وكان قد اتى بوردو سائحاً فاعجبتهُ فأقام بها ونقل اليها تجارتهُ

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم خليل افندي الجاويش

واشترى قصراً جميلاً بظاهر المدينة تجاورهُ تلالٌ خضراَء وتحدق بهِ روضةٌ غنآء وامامهُ صفّةٌ واسعة تظللها الدوالي وتطلُّ على نهر صغير ينساب انسياب الافعوان بين مروج كالزمرُّد وأراضٍ موشاة بالوان الزهر والريحان . فاقام بهذا القصر ممتعاً بجميع اصناف السعادة وبعد مدةٍ رأى في ديرٍ للراهبات فتاةً رائعة الحسن عمرها ست عشرة سنة فمال اليها وأسرهُ سحر عينيها فاقترن بها واقام معها بقصرهِ وولدت لهُ بنتاً سماها جوليا فتمت بها سعادتهما وعكفا على تربيتها وتهذيبها . وان هذه الابنة لما بلغت السنة الخامسة عشرة دهمها مرضٌ عضال نغص عيش والديها وحير الاطباء في علاجهِ وصير ذلك القصر اشبه بصومعة الناسك لا يؤمّهُ سوى الفقير وابن السبيل لما اشتهر من كرم الزوجين وميلهما الى مؤاساة اهل الشقآء . وعند ما وصل روبرت الى بوردو كان الوالدان قد يئسا من شفاء وحيدتهما العزيزة فزيّن الحب الوالدي لهما ان يصطنعا صورة لها تبقى عندهما بعد مماتها تذكاراً يتعزيان بهِ وان كان مؤلماً . وكانا قد سمعا بانهُ قدم البلدة مصوّرٌ ماهر وهو روبرت فاستدعياهُ الى القصر وتلقياهُ بالحفاوة والبشاشة وكانت الفتاة ملقاةً على كرسيٍّ طويل مصنوع بشكل عربة تُجَرُّ عليها وتتنزَّه في غالب ساعات النهار وهي غارقة في الفرو فرأى المصوّر فيها مع شدة اصفرارها ونحولها جمالاً باهراً وتبين في ملامح والديها آثار حزنٍ عليها كحزن يعقوب على يوسف . وبعد قليلٍ جلس المصوّر تحت شجرة تين وارفة الظلال ومعهُ ادوات الرسم كلها فجيء اليهِ بالفتاة في عربتها وهي كالنائمة وجلس والداها بقربها وجعل روبرت يرسمها بسرعة مخافة ان يسطو الردى عليها قبل ان يتم رسمها . ثم سألها بلطفٍ

ان تفتح عينيها وتوجه نظرها اليهِ فاطاعت ولما ووقع بصرها عليهِ ارتجف بدنهُ كأن لواحظها النواعس ايقظت عواطفهُ النوائم واجرت في مفاصلهِ شبه سيالٍ كهربائي . اما الفتاة فامتزج اصفرار وجهها بلونٍ يشبه الجلنَّار والتفتت الى والدها وقالت لهُ بصوتٍ ضعيف اني اراني اليوم اصلح مني في سائر الايام . فكاد والداها يطيران فرحاً لانها كانت منذ خمسة عشر يوماً لا تفتح عينيها لحظة ولا تفوه بلفظة وأيقنا أن الفتى هو الذي اثر فيها ذلك التأثير النفساني الغريب فسألاهُ ان يقيم عندهما الى ما بعد اتمام الصورة فاجابهما الى ما سألا . وهكذا فعل الحبّ في طرفة عين ما لم يفعلهُ الطب في سنوات

وكان روبرت عند ما برح مدينة نيويرك قد اخذ كتب وصاةٍ من بعض اكابر تجارها الى جماعة من تجار بوردو وفي جملتهم المستر ولنغام والد جوليا فعند ما وقع هذا الحادث وتوثقت اسباب المعرفة بين الرجل والفتى أراهُ الكتاب الذي برسمهِ فزاد ميلهُ اليهِ ووعدهُ بكل مساعدة يطلبها سوآءٌ كانت مادية او معنوية فشكرهُ روبرت واثنى على كرم اخلاقهِ

وبعد مدةٍ صارت الفتاة قادرةً على ان تمشي في الحديقة مع والديها والمصوّر وعادت اليها عافيتها وعاودها نشاط الشباب فكانها انتفضت من كفنها او ملّ خيال الموت مجاورة بدنها . ولما طالت عشرة المصوّر لها انتهت بالحب الصحيح وكلف كلٌّ منهما بالآخر فراحا يصرفان الساعات بين جولانٍ في الحديقة وجلوسٍ تحت تلك التينة يتساقيان كؤوس الحب بالنظرات ويتبادلان عهود الغرام بالعبرات حتى اذا كانا ذات يومٍ تحت الشجرة لجَّ بالفتاة داعي الوجد والهوى فاشارت اليهِ ان يخطبها الى والديها

وضمنت لهُ ان طلبهُ لا يُرَدّ فوعدها بان يفعل

وفي ذلك المسآء دعاهُ والد حبيبتهِ الى قضاء هزيعٍ من الليل في لعب الورق واختار لعبةً مجموع ارقامها ثلاثون فكان غالب اللعب ينتهي عند روبرت بعدد ١٣ فتشاءم واستعفى وقد تغير حالهُ وغلب عليهِ الوجوم. فقال لهُ الرجل نحن لا نلعب على نقود فلمَ اصابك هذا الابتئاس كلهُ يا عزيزي روبرت . فقال لو كنت تعلم تاريخ حياتي لعذرتني وقلت مسكينٌ هذا الفتى ولكن حسبي ان اقول لك انني لم اعمل عملاً في اميركا الا كان الفشل فيهِ حليفي والاخفاق اليفي كأَن النحس لي توأم او كأني واياهُ سوارٌ ومعصم . فقال دع عنك هذه الاوهام وتعالَ ازوجك بابنتي جوليا فتعيش معها على اسعد حال وتجد من نعيم الحياة ما ينسيك هذه الوساوس . فاجاب اني اكون بلا شك سبب شقآئها ومنفراً لطائر السعد عن ناحيتكم . ومما يؤكد لك ان النحس مقرون بطالعي انني لست فقيراً فيعرقل الفقر مساعيَّ كما يحدث لاكثر الناس ولا انا قبيح الصورة فتصدّ عني النواظر وتنقبض مني النفوس حتى اكون مهملاً من الصديق والمساعد ولذا تحققت بعد ان قلَّمت التجارب اظفاري مع صغر سني ان الغنى لا يجلب السعادة ولا السعادة ملازمة لارباب الثرآء بل رأيت ان غنايَ زاد شقآئي وسوءَ حظي وزاد متاعبي وهمومي . وآخر برهانٍ قام في ذهني على اني شقيٌّ عاثر الجدّ هو ان السفينة التي اتيت عليها اسمها « المقدور » وقد اوشكت ان تغرق في عُرض البحار لشدة ما قاست من اهوال الانوآء والعواصف وكان عدد ركابها ثلاثة عشر وانا اسمي روبرت ثرتين (اي ١٣ بالانكليزية) ولا يخفى

ان هذا العدد دليل على الشؤم والنحس . فقال ولنغام اما ابنتي فلم يصبها من مصائب الدهر سوى هذا المرض وانت قد شفيتها منهُ بنظرةٍ فدلّ ذلك على ان النحس فارقك من يوم حللت بهذه المدينة وانا والحمد لله رجلٌ موسر استطيع ان اوفر لكما جميع معدّات الراحة والرفاهية

وبينما الرجل والفتى يتجادلان في هذا المعنى دخل خادمٌ وقال لقد اتى الكنت بلطازار . فقال صاحب المنزل دعهُ يدخل . ولما دخل ارتعش روبرت من منظرهِ لانهُ رجل طويل القامة ولون وجههِ اسمر الى السواد وحاجباهُ كثيفان وعيناهُ تقدحان شرراً . وهو من اشراف البرازيل وكبار اغنيآئها وكان لهُ علائق تجارية مع محل ولنغام فكان يكثر من التردُّد الى منزلهِ واخيراً كلف بحب جوليا فصار لا يلذ لهُ ان يقضي سهرتهُ في غير منزلها . وبعد لحظةٍ دخلت جوليا كانها البدر في ليلة تِمّهِ فحيّت الجميع وجلست واقبل عليها الكنت يحادثها فصادف منها اعراضاً عن حديثهِ على غير ما تعود منها ووجد اكثر ميلها الى الفتى روبرت . فاخذت منهُ الغيرة مأخذها وظهرت على وجههِ لوائح الكمد والاستيآء وكان بعد ذلك كلما التقى بروبرت في المنزل تغير وجههُ وانقبض صدرهُ وقصّر سهرتهُ ما استطاع . ولما يئس من استمالة جوليا اليهِ خطبها الى والدها واطنب فيما عندهُ من الثروة وسألهُ ان يشفع لهُ عند ابنتهِ ففعل فاجابتهُ ان البرازيليين يُعَدّون من أكَلَة لحم الانسان فضلاً عن ان اسم الرجل بلطازار فلا استطيع ان اجلس معهُ على مائدةٍ واحدة . فتلطف والدها في ابلاغ الكنت خبر رفضها اياهُ فطار لبهُ واسرع في مغادرة المدينة وخلا الجو لجوليا وحبيبها فألحّت عليهِ عندئذٍ ان

يخطبها كما وعد فقال قبل ان تصممي على الاقتران بي اسمعي قصتي

انا أُحبكِ حباً لا استطيع ان اعبّر عن مقدارهِ ولا اخالكِ تحتاجين الى البرهان على قولي لظهور بيناته عندكِ ولكنكِ اذا علمتِ ما ساقصهُ عليكِ جانبتِني كما يجانب السليم الاجرب . اما قصتي فهي انهُ في مساء يوم من ايام شهر مارس سنة ١٨٢٤ اتت امرأةٌ ملتفة بإحرام وقرعت باب وليم طمسن بمدينة نيويرك ففتح لها عبدٌ اسود فدفعت اليهِ سفطاً مستطيلاً ثقيلاً واوعزت اليهِ ان يسلمهُ الى سيدهِ ثم انصرفت لشأنها . ولما فتح المستر طمسن السفط وجد فيهِ ولداً ورسالة من والدتهِ تقول فيها

« انا الولد الثالث عشر من اسرةٍ فقيرة وقد تحملت في بيت والديَّ جميع انواع الهوان والاحتقار والاهمال وكانت شقيقاتي يلقينَ عليَّ تبعة كل امرٍ مقلق يحدث في بيتنا ويوسعنني ضرباً ولكماً وكان اهلي كلهم يقولون اني انا سبب مصائبهم وفقرهم . واتفق ان والدي خسر ما كان عندهُ من المال القليل واصبح عاجزاً عن القيام بحاجات بيتهِ فتواطأ اخوتي عليَّ وافتوا بطردي فرحت اهيم في شوارع المدينة لا اجد رحيماً يؤويني عندهُ ولا شفيعاً يستخدمني في منزلهِ وسمعت بعد ان طُردتُ أن والدي استردّ ما خسرهُ ودخل الهناء بيتهُ . اما ولدي هذا فاسمهُ روبرت وقد ولد يوم الجمعة الموافق ١٣ فبراير فسميتهُ روبرت ثرتين وعلمت انك رجل شفيق كريم الاخلاق ندي الكف فاستودعتك اياهُ سائلة رب السماء ان يجزيك عني خيراً وان يكلأهُ بعين عنايتهِ التي لا تنام »

ومن غرائب الاتفاق ان المستر طمسن المذكور كان صيرفياً غنياً

مشهوراً بعمل الخير وليس لهُ امرأة ولا ولد فربى ابن المرأة في مهد الترف وبعثهُ الى المدارس الكبرى ثم تبناهُ وقد توفي الرجل منذ ثلاث سنوات تاركاً كل ثروتهِ لهذا الولد الذي هو انا يا جوليا محبكِ المستهام. ولكن هذه الثروة ما كانت الا سبباً في شقآئي ومجلبةً لكل همٍ وغمٍ على رأسي وعبأً ثقيلاً على ظهري والنحس لا يفارقني كيف سرت واين حللت كأني وُلدت عدوًّا للطبيعة او كأَن الطبيعة تريد ان تخالف فيَّ احكامها ونواميسها مع اني ما اسأت في عمري الى احد بل كنت لا ارى مسكيناً الا احسنت اليهِ ولا حزيناً الا عزيتهُ ولا ملهوفاً الا اغثتهُ وقد علمني تذكار والدتي المسكينة ان امسح دموع الفقر والبأسآء

فصاحت جوليا كفى يا روبرت فان هذه الامور كلها ليست الاّ وساوس تأصلت في ذهنك لانك وُلدت مسكيناً وربيت في منزل رجلٍ غريب لا يستطيع مهما كان حنوناً ان يحبك نظير والديك فلا تحزن ولا تيأس ودعني ادبر الامرَ على ما اريد ولا تخبر والدي بما رويتهُ لي

وبعد ايام اخبرت جوليا والدها انها اختارت روبرت خطيباً لها فسرَّ والدها بذلك سروراً عظيماً وبعد مدة قصيرة زُفَّت جوليا الى روبرت وراحا كلاهما يسيحان في انحآء فرنسا ولم يقع لهما في اثناء هذه السياحة شيءٌ يسوء حتى ايقن روبرت ان النحس قد همَّ بمفارقتهِ . وبعد رجوعهما الى بوردو اقترح المستر ولنغام على روبرت ان يسكن مع زوجتهِ في منزل لهُ بالخلآء يبعد مسيرة ساعتين عن المدينة وهو يشرف على نهر الغارون وحولهُ غابات وغياض ومروج فكانهُ بينها عش طائر. فسار روبرت مع زوجتهِ

الى هذا المنزل البهيج واقاما فيه يجتنيان قطوف الحب دانيـة بمعزل عن كل عاذل ورقيب . وولدت جوليا فتاة سمتها روبرتين بالرغم عن والدها فظل قلق البال على طفلته حتى مر على ولادتها ١٣ يوماً ثم ١٣ شهراً وفي آخر الشهر الثالث عشر ولدت جوليا غلاماً دعي وليم وهو اسم الرجل الذي ربى روبرت وتبناه ووهبه تركته على ما تقدم . وهكذا قضى الزوجان ايامهما في ذلك الفردوس الارضي وهما يحمدان الله تعالى على نعمته حتى اذا ايقن روبرت ان الشقاء قد فارقه فراقاً لا رجوع بعده حدث له انه بينما كان ليلة في غرفته اتاه بستاني المنزل وقال له ان شخصاً غريباً بالرواق يريد ان يكلمك على حدة في امر ذي بال . فاسرع لمواجهة الشخص فرأى انه الكنت بلطازار عاشق جوليا فوقف لحظة لا يعيد ولا يبدي . فقال له الكنت بلهجة المتهكم الساخر كيف حالك يا مستر روبرت ثرتين . فقال بخير وعافية والحمد لله ولكن قل لي من اين انت آت وكيف عرفت منزلي . فاجاب اني قادم من نيويرك وقد ارشدني الى المنزل احد مستخدمي محل حميك . فارتعش روبرت وقال ولماذا ذهبت الى نيويرك . فتوقف الكنت هنيهة ثم قال يا روبرت ثرتين انك بتزوجك الفتاة التي لم أهوَ غيرها من بنات الارض قد طعنتني في صميم فؤادي وقضيت على سعادتي وبغضت اليَّ الغنى والجاه فأردت ان اعرف من هو هذا الرجل الذي نغص عيشي وحرمني اعظم امانيَّ وآمالي وقد عرفته فهاك قصته

في يوم ٢٥ مارس سنة ١٨٢٤ وُجد على مسافة ميلين من نيويرك جثة امرأة في مقتبل الشباب مشنوقة في غصن شجرة وكان عند الصيرفي

طمسن خادم اسود فعرف المرأة من ملابسها لانها كانت في الليلة السابقة قد سلمت اليهِ طفلاً وسألتهُ ان يسلمهُ الى سيدهِ ليتولى تربيتهُ . اما هذه المرأة فتدعى سوسانة هتكنس وقد تزوَّج بها شابٌّ يدعى جورج كان لذلك العهد كاتباً في محل هريسون وبركلي وشركائهما والظاهر ان سوسانة كانت مصابة باختلاط في عقلها لكثرة ما كابدت من البؤس في طفوليتها ففي ذات يوم اصابتها نوبة جنون شديدة فبرحت نيويرك تاركةً زوجها في اشد حالات النكد والحزن وقد صرف المسكين بضعة اشهر وهو يبحث عنها ولما لم يجدها هجر البلاد الى فرنسا حيث كان المحل المذكور يريد ان ينشئ لهُ فرعاً . اما سوسانة فقد التقطها فلاح من ضواحي المدينة واخذها الى بيتهِ فولدت فيهِ الطفل الذي رباهُ وليم طمسن . واما جورج فانهُ تزوج بُعيد وصولهِ الى فرنسا لينفي الهموم التي اورثتهُ اياها زوجتهُ الاولى وبعد سنةٍ رُزق جورج ولنغام فتاةً دعاها جوليا

. . . .

فعند ذلك انقضَّ روبرت على الكنت وامسكهُ بخناقهِ وصاح بهِ انت كذاب منافق . فتملص منهُ بسكينةٍ وقال لهُ اذا كنت في ريبٍ مما قلت لك فاسأل ولنغام وخرج مسرعاً وهو يزأر كالاسد

فعاد روبرت الى غرفتهِ وهو يترنح كالسكران واستلقى على فراشهِ واغمض عينيهِ ثم نهض وانطلق الى غرفة زوجتهِ وكانت نائمة نوم الملَك وغدائرها مدلاَّة على كتفيها كانها كفافٌ من المسك لذلك الوجه المنير فانحنى فوقها وهو يعصر فؤادهُ ليقلل خفقانهُ وقبَّلها في جبينها ثم قبل ولديهِ

ودموعهُ تتساقط على الارض وعاد الى غرفته ِ وفتح خزانةً واخذ منها طبنجة وحشاها وجلس على مقعدٍ واسند رأسهُ بيديه ِ وقال في نفسه ِ كم اكون سعيداً لو كان هذا الرجل كاذباً . آه يا جوليا . يا روبرتين . يا وليم . كيف أتركـكم يا احبآئي يا ثالوث الجمال والطهارة واللطف . ثم ضرب بيده ِ وقال لا . لا اموت قبل ان استجلي غوامض هذا السرّ فان ولنغام يطلعني على كل خفاياهُ اذا رويت لهُ ما حكاهُ الكنت

وفي تلك اللحظة سمع وقع حوافر على الطريق فهرول الى الباب فوجد رسولاً من بيت حميه ِ يخبرهُ ان المستر ولنغام مات منذ ساعتين بسكتةٍ دماغية فدهش روبرت حين سماعه ِ هذا الخبر وعاد الى مخدعه ِ وقد يئس من الوقوف على حقيقة ذلك السر . وبينا هو كذلك وقد حار في امره ِ اذ ابتدأت الساعة تضرب فجعل يعدّ ضرباتها حتى اذا كانت شفعاً عدل عن قتل نفسه ِ وان كانت وتراً فرّغ الطبنجة في دماغه ِ . ومضت الساعة في ضربها حتى انتهت الى ١٢ فاستبشر وقد ايقن بكذب خبر الكنت وللحال قُرع الباب قرعةً شديدة فكانت تمام عدد ١٣ فتناول الطبنجة واطلقها على رأسه ِ نخرّ قتيلاً يتشحط بدمه ِ

فاستيقظت جوليا مذعورةً وأتت الى غرفة زوجها وانحنت فوقهُ تبكي بدمعٍ سخين ثم التفتت الى جانب السرير فرأت ورقة صغيرة عليها هذه العبارة « لقد قلت لك ِ ان زواجي بك ِ سيكون سبب شقآئك ِ فلم تصدقيني . جوليا انت ِ شقيقتي »